إِذَنْ: فنثبت لله تعالى يدًا حقيقية، وهذه اليد لا تماثل أيدي المخلوقين، والدليل على ذلك السمع والعقل:

فأما الدليل السمعي: فيقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وأما الدليل العقلي: فإن الله تعالى أخبر أنه يقبض السموات والأرَضين بيده، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن السموات السبع، والأرضين السبع، بالنسبة ليد الله كخردلة في كفِّ أحدنا، فهل يمكن عقلًا -إذا آمنا بذلك- أن يكون هناك مماثل لهذه اليد؟ لا.

كما أن العقل -أيضًا- يمنع منعًا باتًّا أن يكون الخالق مماثلًا للمخلوق في جميع صفاته.

واعلم أن اليد وردت في القرآن على ثلاثة أوجه: بالإفراد، والتثنية، والجمع.

فمثال المفرد: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤].

ومثال المثنى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥].

ومثال الجمع: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس:٧١]، يعني: الإبل، والبقر، وما أشبهها.

وأما الاستدلال على الجمع بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا﴾ [الذاريات:٤٧]. فلا يصح؛ لأن معنى: (بأيد) أي: بقوة، والله تعالى لم يضفها لنفسه، و(أَيْدٌ) مصدر آدَ يَئِيدُ أَيْدًا، كباع يبيع بيعًا، ويدل على أنه أراد بها القوة، قوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ:١٢] أي: قويَّة.

فإذا قال قائل: كيف نجمع بين هذه الوجوه؟

فيقال: الجمع بينها سهل، أما بالنسبة للمفرد، فلا ينافي التعدُّد إطلاقًا؛ لأن المفرد المضاف يعمُّ، ولهذا لو قال الرجل: أعتقت عبدًا، وله عشرة أعبد، ولم ينوِ عبدًا معينًا، عتق جميع العبيد، ولو قال: طلَّقت زوجتي، ولم ينوِ زوجةً معينة طلقت جميع النساء.

يبقى عندنا الجَمْعُ بَيْنَ ما ورد مجموعًا وما ورد مثنًّى، فهذا -أيضًا- سهل، فيقال: إن قلنا بأن أقل الجمع اثنان فلا تعارُض إطلاقًا؛ لأننا نحمل الجمع على أقل مدلوله، وإن قلنا: بأن أقل الجمع ثلاثة، فالجمع هنا يراد به التعظيم، والجمع يرد للتعظيم حتى في المفرد، فـ(نحن) -مثلًا- ضمير للجمع، وقد يعبِّر به الإنسان عن نفسه وهو واحد؛ ولهذا لم تَرِد الأيدي مجموعة إلا مضافةً لضمير الجمع: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾، وبهذا يزول الإشكال، وتستقر العقيدة على أن لله تعالى يدين اثنتين، بدون زيادة؛ لقول الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، والسياق في بيان عظم هذه الصفة، ولو كان لله تعالى أكثر من يدين لذكر ذلك.

فإن قال قائل: أيهما أشرف الإنسان أم البعير؟ الإنسان -والإنسان ما عدا آدم- مخلوق بالكلمة، والبعير يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ فأضافه الله تعالى إلى يده، ومعلوم أن ما خلقه الله بيده أشرف مما خلقه بالكلمة؛ لأن الله تعالى قال لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾، وهذا يدل على أنَّ خلق الله تعالى بيده له ميزة.

فالجواب: أن قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ لا يدل على أن الله تعالى خلقها بيده؛ لأن هناك فرقًا بين أن تقول: خلقت هذا بيدي، أو كسبته يدايَ -مثلًا- وذلك أن

قوله: مما عملت أيدينا، مثل قوله: مما عملنا، والدليل على هذا: قوله تعالى: ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ فمعناه: مما عَمِلناه، والعرب تُضيف الكسب إلى اليد، والمراد صاحب اليد، وتُضيف العمل إلى اليد، والمراد صاحب اليد؛ لأن غالب العمل يكون باليد.

وعليه فنقول: هذه البهائم خُلقت بالكلمة ولم تُخلق باليد، وقد علمتم أنه قد بلغنا -حتى اليوم- أن الله تعالى خلق آدم عليه الصلاة السلام بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنةَ عدنٍ بيده.

***

١٨٩- حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ الله الأَشْجَعِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبْجَرَ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَقُولُ: عَلَى الْمِنْبَرِ إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ أَخَسِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْهَا حَظًّا؛ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ[١].

---

[١] كلمة (أَخَسِّ) أشد على السمع من كلمة أدنى، فلعل الراوي رواها بالمعنى، والسؤال الذي وقع من موسى عليه الصلاة والسلام بلفظ: (أدنى)؛ لأنه أخف على السمع من كلمة (أَخَسِّ)، وإن كان خسيس بمعنى الداني، لكن أحيانًا تكون نَبرات اللفظ مُسْتَبْشعة أو منفِّرة.

***

١٩٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنِ الْـمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «**إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْـجَنَّةِ دُخُولًا الْـجَنَّةَ وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا؛ رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا؛ فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا وَكَذَا؛ فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ؛ فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً؛ فَيَقُولُ: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا**»؛ فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ[١].

١٩٠- وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكِيعٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ؛ كِلَاهُمَا عَنِ الأَعْمَشِ، بِهَذَا الإِسْنَادِ.

---

[١] هذا موجب للضحك أن يستر الله عليه، ثم يقول: عملت أشياء لا أراها هاهنا، وكأنه -والله أعلم- إنما سأل إشفاقًا على نفسه خشية أن تكون الكبار مخبَّأة، ثم بعد ذلك يحاسب عليها، لكن لو سكت لكان أحسن، لكن هذا دأبه.

* * *

١٩١- حَدَّثَنِي عُبَيْدُ الله بْنُ سَعِيدٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ؛ كِلَاهُمَا عَنْ رَوْحٍ؛ قَالَ عُبَيْدُ الله: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ الْقَيْسِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ فَقَالَ: نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا، انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ -قَالَ:- فَتُدْعَى الأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا؛ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ؛ فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ -قَالَ:- فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ -مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ- نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ -وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ-؛ ثُمَّ يَطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ، ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ، حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا.

١٩١- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو، سَمِعَ جَابِرًا يَقُولُ: سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم بِأُذُنِهِ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ نَاسًا مِنَ النَّارِ فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ».

١٩١- حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ: أَسَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ قَوْمًا مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ»؟. قَالَ: نَعَمْ.

١٩١- حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ سُلَيْمٍ الْعَنْبَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ الْفَقِيرُ، حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «إِنَّ قَوْمًا يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ يَحْتَرِقُونَ فِيهَا إِلَّا دَارَاتِ وُجُوهِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ»[١].

١٩١- وَحَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ -يَعْنِي: مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي أَيُّوبَ- قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ الْفَقِيرُ قَالَ: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْـخَوَارِجِ[٢] فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ، نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ -قَالَ:- فَمَرَرْنَا عَلَى الْـمَدِينَةِ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله يُحَدِّثُ الْقَوْمَ -جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ- عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْـجَهَنَّمِيِّينَ -قَالَ:- فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ الله مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾، وَ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ يَعْنِي: الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ؛ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّـهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم الْـمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِـهِ مَنْ يُخْرِجُ

---

[١] الدارات معروفة، والمراد بذلك: تدوير الوجه، وما يحيط بالوجه.

وقد تقدَّم أنَّ أعضاء السجود لا تأكلها النار، ومنها: الجبهة، والأنف، وكأن ذلك -والله أعلم- إما: أنه أُطلق الكل وأُريد به البعض، أو أن الله سبحانه وتعالى بفضله يُنجِّي الوجه كله تبعًا لموضع السجود: الجبهة والأنف، وهذا أقرب؛ لأن الوجه فيه الجبهة والأنف اللذان يسجد عليهما.

[٢] وهو أنَّ صاحبَ الكبيرة مخلَّد في النَّار ولا تَنفعُ فيه الشفاعة.

-قَالَ:- ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ -قَالَ:- وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ -قَالَ:- غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ: أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا -قَالَ- يَعْنِي: فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ، قَالَ: فَيَدْخُلُونَ نَهْرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ؛ فَرَجَعْنَا؛ قُلْنَا: وَيْحَكُمْ أَتَرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم؟! فَرَجَعْنَا فَلَا وَاللهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ؛ أَوْ كَمَا قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ[١].

---

[١] انظر كيف يتعلق الإنسان بالمشتبهات؟!

ومن حكمة الله عزَّ وجلَّ أن في الوحي -كتابًا وسُنَّة- شبهات، وكذلك في الأمور الكونية شبهات، من أجل الابتلاء والامتحان.

أما الشبهات في الأمور الشرعية -كالكتاب والسنة- فالابتلاء فيها لمن في قلبه زَيْغ ولمن كان صافي القلب.

أما الذين في قلوبهم زيغ، فيتبعون ما تشابه منه، وأما الذين صَفَت قلوبهم وسَلِمت، فيحمِلون المشتبِه على المُحْكَم.

ولقد ذكرنا هذه القاعدة: أنه إذا ورد نص ذو وجهين، ونص لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا، فالأول مُشْتَبه، والثاني مُحكم، فيجب أن يحمل المشتبِه على المحكم، وبهذا يستريح الإنسان، ويسلم مما يقع في قلبه من الشَّكِّ.

أما في الأمور الكونية، فالله عزَّ وجلَّ يقدِّر مصائبَ عامَّة وخاصَّة، توجِب للإنسان الذي إيمانه ضعيف أن ينحرف، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ [الحج:١١]،

فتجد القلب يقول: لماذا قدر الله هذا الشيء؟ لماذا قدَّر هذه السيول الجارفة؟ لماذا قدَّر هذه الريح العاصفة؟ لماذا قدر هذه الفتنة الطاحنة؟ وما أشبه ذلك، لكن المؤمن يعلم بأن الله لم يقدر ذلك إلا لِحِكَم بالغة، وأسرار عظيمة، يعجز الإنسان عن إدراكها، فمن هنا يتمحَّص المؤمن من غير المؤمن.

هؤلاء الخوارج استدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران:١٩٢]، وما بعد الخزي من رفعة ولا إكرام، واعتمدوا على نصوص الوعيد، وغفلوا عن نصوص الوعد.

كما أن المرجئة على العكس، قالوا: إن صاحب الكبيرة لا يدخل النار أصلًا؛ لأن النار إنما أعدت للكافرين، وصاحب الكبيرة ليس بكافر، فلا يدخل النار، واعتمدوا على نصوص الوعد، وكلا الطائفتين مبتدعة، نَظَرت إلى النصوص بعين الأعور، الذي لا يرى إلا بعين واحدة.

أما أهل الحق -نسأل الله أن يجعلنا منهم- فإنهم نظروا للنصوص بعينين، وجمعوا بينهما، وقالوا: إن أهل النار -الذين هم أهلها- فهم الكفار الذين كفرهم محض، وهؤلاء لا شك أن النار أُعدت لهم، وأما أهل النار الذين يستحقُّون أن يعذَّبوا فيها بقدر ذُنوبهم؛ فهؤلاء هم عصاة المؤمنين، وهم مستحقُّون للنار، لكن قد لا يدخلونها بعفو الله عنهم، أو بشفاعة؛ لأن الإنسان قد يشفع له قبل يوم القيامة، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِالله شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ»[1]، فيُغفر له بسبب دعاء المصلين له.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه، رقم (٩٤٨).

فأهل الحق قالوا: إن الشفاعة لأهل الكبائر: إما أن لا يدخلوا النار، أو يخرجوا منها إذا دخلوا فيها.

وهؤلاء -أعني: الخوارج- قالوا: مَن دخل النار، فإنه لا يخرج منها، واستدلوا بالآيات المتشابهة، وهي قوله: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ أي أذللته، ولا عزَّ بعد الذل.

والآية الثانية قوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة:٢٢]، فكيف يخرجون منها إخراجًا كليًّا؟.

وبناءً على ما تقدم من قاعدة التعامل مع النصوص المحكمة والمتشابهة، فنقول ما قاله أئمتنا وسلفنا الصالح رحمهم الله: إن الله تعالى يخرِج بالشفاعة أقوامًا من النار، قد امْتَحَشُوا واحترقوا، ويدخلهم الجنة، وليس هذا بممتنع ولا بعزيز على الله عزَّ وجلَّ.

قال: فرجعنا، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد، والظاهر -والله أعلم- أنهم رجعوا من الحج، وأنهم اقتنعوا بما قال جابر رضي الله عنه، إلا رجلًا واحدًا فبقي على رأي الخوارج، والله تعالى يَهدي مَن يَشاء إلى صراط مستقيم.

فإن قيل: هؤلاء الخوارج، ذكر النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أنهم أهل تعبد، فكيف يجتمع هذا مع كونهم أشداء على أهل الإسلام؟.

فالجواب أن يقال: إن الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أخبر أن الإسلام لا يتجاوز حناجرهم، فقلوبهم خاوية، عندهم قوة في الظاهر وتزمُّت، ولهذا يكفِّرون الناس، لكن القلوب -والعياذ بالله- خاوية من الإيمان؛ لأنهم يريدون أن يسطوا على الناس من فوق، وأن يلزموا الناس بالشريعة، ولكن فيما بينهم

وبين الله تعالى -نسأل الله السلامة- قد حِيل بينهم وبين الإيمان، وهذا يوجب للإنسان أن يخشى على نفسه من الغَيْرة الشديدة، التي ربما تجعله ظاهريًّا والقلب خاوٍ، كما كان عليه هؤلاء الخوارج، وقد قال بكر بن عبد الله المُزَني رحمه الله: والله ما سبقهم أبو بكر بكثرة صيام، ولا صلاة، ولكن بما وقر في قلبه.

ونحن إذا تأملنا أحوال الصحابة رضي الله عنهم؛ وجدنا أن أعمالهم بسيطة وسهلة، ليس فيها صعوبة ولا مشقَّة، ولكن مع ذلك، لا شك أنهم أصفى منا إيمانًا، وأتقى لله.

* * *

١٩٢- حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ وَثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ فَيُعْرَضُونَ عَلَى الله، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا فَلَا تُعِدْنِي فِيهَا؛ فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا**».

١٩٣- حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ فُضَيْلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْـجَحْدَرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْغُبَرِيُّ -وَاللَّفْظُ لأَبِي كَامِلٍ-؛ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: «**يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ** -وَقَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ: **فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ**- **فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا** -قَالَ:- **فَيَأْتُونَ آدَمَ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْـخَلْقِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ؛ اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا؛ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ** -**فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا**-؛ **وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ**

بَعَثَهُ اللهُ -قَالَ:- فَيَأْتُونَ نُوحًا صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ -فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا-؛ وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم الَّذِي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلًا؛ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا-؛ وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ؛ قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ؛ وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم عَبْدًا قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ». قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ؛ قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ؛ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْـجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ؛ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْـجَنَّةَ -قَالَ: فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ:- فَأَقُولُ يَا رَبِّ! مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ؛ أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْـخُلُودُ». قَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ قَتَادَةُ: أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْـخُلُودُ[١].

---

[١] حديث أنس رضي الله عنه من أوفى الأحاديث في الشفاعة، وذلك أن الناس يلحقهم من الغمِّ والكرب يوم القيامة ما لا يطيقون؛ لأنهم حُفاة عُراة، والشمس تدنو منهم بمقدار ميل، ويجدون أهوالًا عظيمة.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «فَيَهْتَمُّونَ» أي: يلحقهم الهم، واللفظ الثاني: «فَيُلْهَمُونَ» أي: يُلْهِمُهم الله عزَّ وجلَّ أن يأتوا إلى هؤلاء السادة: الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فيسألون مَن يشفع لهم عند الله عزَّ وجلَّ ويريحهم من هذا الموقف، فيأتون آدم عليه السلام، ويقولون: أنت أبو الخلق، والمراد بالخلق هنا: البشر، فهو عام أريد به الخاص، وإلا فهو ليس أبًا للملائكة، ولا للجن.

وقوله: «خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ»، وسبق لنا أن الله تعالى خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنةَ عدنٍ بيده، والعلم عند الله تعالى، أما بقية الخلائق، فخلقوا بالكلمة: كن فيكون.

وقوله: «وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ» ليس المراد أن الله تعالى نفخ فيه من روحه هو نفسُه، وذلك لأن هذه الروح مخلوقة، وصفات الله تعالى غير مخلوقة، لكن هذا من باب إضافة الشيء إلى الله عزَّ وجلَّ تكريمًا وتشريفًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج:٢٦]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٤]، وكقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس:١٣]، فهي روح مخلوقة أُضيفت إلى الله تعالى من باب التشريف والتكريم.

وقوله: «وَأَمَرَ الْـمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ»، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البقرة:٣٤]، فسجدوا لمخلوق، فكان هذا السجود طاعة لله تعالى، وكان تركه كفرًا بالله، مع أن السجود لغير الله -في الأصل- شرك، ولكنَّ طاعةَ الله تعالى هي طاعةُ الله، حتى لو أمرك الله بشيء من الشرك وأطعته فأنت موحِّد، فمثلًا: قتل النفس بغير حق من كبائر الذنوب، وقتل الولد أشد وأعظم، ومع ذلك كان امتثال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقتل ابنه من أفضل الأعمال، مع أنه قتل نفس.

والحاصل: أن الله تعالى يجب أن يطاع أمره على أي حال كان، فإذا كان الله تعالى نهى عن السجود لغيره صار شركًا، وإذا أمر به صار طاعة، وإذا كان نهى عن القتل صار كبيرة، وإذا أمر به صار طاعة.

وقوله: «**اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا؛ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ**» هنا اسم إشارة، والكاف للمخاطب.

والكاف المتصلة باسم الإشارة تكون على ثلاثة أوجه -أي: أن فيها ثلاث لغات-:

الوجه الأول: الفتح مطلقًا مع الإفراد.

الوجه الثاني: الفتح للمذكر مع الإفراد مطلقًا، مع الكسر للمؤنث مطلقًا.

الوجه الثالث: مراعاة المخاطب، فالمفرد المذكر يخاطب بالكاف مفتوحة، والمفرد المؤنث بالكاف مكسورة، والمثنى بالكاف مضمومة مع الميم والألف، وجماعة النسوة بالكاف مضمومة مع النون، وجماعة الذكور بالكاف مضمومة مع الميم.

قوله: «**لَسْتُ هُنَاكُمْ**» يعني: لست بأهل لذلك المكان الذي يستطيع أن يشفع فيه، فيذكر خطيئته التي أصاب، وقد فسِّرت في الأحاديث بأنها أكْله من الشجرة؛ لأن الله تعالى قال لما أسكنهما الجنة: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥]، نهاهما فجاء إبليس، فوسوس لهما، فقال: ﴿يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ﴾ [طه:١٢٠]، ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف:٢١-٢٢]، وهو كاذب، حتى أكلا منها، ولهذا وسوس لأبينا عليه الصلاة والسلام، وصار يوسوس لنا -أيضًا- ويغرُّنا،

نعرف الحق كما نعرف الشمس، ولكنه يقاسمنا بأنه ناصح: افعل كذا، افعل كذا حتى نغترَّ، فهذه خطيئته التي ذكَر.

وفي هذا دليل على أن ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن آدم عليه الصلاة والسلام جاءه إبليس حين حملت حواء، وأمرهما أن يسميا ولدهما عبد الحارث، وأَبيا، فخرج ميتًا مرتين أو ثلاثة، فجاءهم في الثالثة أو الرابعة، وقال: لتطيعاني أو لأجعلن له قرنَيْ أَيِّل -وهو نوع من الغزلان- فيخرج من بطنك فيشقُّه، فسمياه عبد الحارث، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف:١٩٠-١٩١]، فهذه القصة ليست بصحيحة إطلاقًا.

وقد بينا في «شرح كتاب التوحيد» أنها غير صحيحة من سبعة أوجه: نقلية وعقلية[1]، وأنها لا تصح من آدم عليه الصلاة والسلام؛ لأنه لو كانت كذلك؛ لكان اعتذاره بها أولى من اعتذاره بأكله من الشجرة؛ لأن أكل الشجرة معصية، وذاك شرك، والشرك أعظم.

والمقصود: أنه يذكر الخطيئة، ومعلوم أن من فعل خطيئة أمام من يشفع عنده، فليس له وجه أن يشفع؛ لأنه هو بنفسه يحتاج إلى مَن يشفع له عند من أساء في حقه، فكيف يشفع لغيره؟.

ولهذا لو طلب منك إنسان أن تشفع له عند شخص، وأنت قد أسأت لهذا الشخص، فهل يمكن أن تشفع؟ لا يمكن؛ لأنك تقول: أنا بنفسي أحتاج لمن يشفع لي.

---

(١) ينظر: القول المفيد (٣/ ٨٤).

وقوله: «فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا؛ وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ»، وهذا صحيح؛ لأن نوحًا عليه الصلاة والسلام أول رسول، وبه نعرف كذب ما يذكر من النسب، أن إدريس كان جدًّا لنوح عليهما الصلاة والسلام.

وإدريس كان من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولو كان جدًّا له، لكان هو أول رسول، ولكنَّ هذا كَذِب، وإدريس من بني إسرائيل.

فإذا قال قائل: أليس آدم نبيًّا؟ قلنا: بلى هو نبي أوحي إليه، مأمور ومنهي، متعبد لله تعالى بالوحي الذي أوحاه الله إليه، لكن ليس رسولًا؛ لأنه يقال: إلى من أرسل؟ هو أول من خلق من البشر، فليس رسولًا، ثم إن أولاده كانوا قليلين، لم يحصل بينهم خلاف، ولا انتشروا في الأرض؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣]، فكانوا أمة واحدة، فاختلفوا، ثم بعث الله النبيين مبشِّرين ومنذِرين، وهذا واضح صريح في أن أول رسول هو نوح عليه الصلاة والسلام[1].

وقوله: «قَالَ: فَيَأْتُونَ نُوحًا صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا» وخطيئة نوح عليه السلام أنه سأل ما ليس له به علم، حين قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود:٤٥]؛ فإنه لما أراد الله عزَّ وجلَّ أن يهلك قومه، كان منهم أحد أبنائه، فقال له أبوه: ﴿ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا

(١) انظر: تفسير سورة الكهف (ص ٩٠) لفضيلة الشيخ رحمه الله تعالى.

﴿تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٤٢-٤٣]، وهذا هو فكر الماديين، الذين يعتمدون على الأسباب العادية الحسية، فكأنه يقول: هذه السفينة ربما تغرق، لكن سآوي إلى جبل عالٍ يعصمني من الماء، فقال له أبوه: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود:٤٣]، لكنه قد سأل ربه قبل، فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود:٤٥].

وقد أمر الله تعالى نوحًا عليه الصلاة والسلام أن يحمل أهله معه، وكان الابن يدخل في عمومه، ولكن الله قال: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦]، وهذا يدلُّ على أن الله تعالى جعله بذلك جاهلًا؛ لأنه سأل ما ليس له به علم، فكيف بمن سأل ما يعلم أنه لا يكون؟! فهذا من باب أولى أن يوعظ.

وقوله: «**وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم الَّذِي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلًا؛ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ**»، كل واحد منهم يحيل إلى آخر، ويذكر الثناء عليه، آدم أحال على نوح، وذكر الثناء، ونوح أحال إلى إبراهيم وذكر الثناء: أن الله اتخذه الله خليلًا.

قال العلماء رحمهم الله: والخليل هو الذي نال من المحبة أعلاها؛ لأن أعلى أنواع المحبة هي الـخُلَّة.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في «روضة المحبين»[1] أن المحبة لها نحو عشرين درجة، أعلاها الخُلَّة، وعلى هذا قول الشاعر لمعشوقته[2]:

---

(١) روضة المحبين (ص:٤٧-٤٨).

(٢) البيت لبشَّار بن بُرد. ينظر: «ديوانه» (٤/ ١٣٩/ ملحقات الديوان).

قَدْ تَخَلَّلَتْ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي وَبِذَا سُمِّيَ الخَلِيلُ خَلِيلا

و(مسلك الروح) يعني: مجاري الدم.

فإبراهيم عليه السلام اتخذه الله عز وجل خليلًا، جزاءً على ذبح ابنه الذي هو أحب البشر إليه، من أجل أن ينال محبة الله ورضاه، فأثابه الله عزَّ وجلَّ.

والرب عزَّ وجلَّ هكذا يفعل مع عباده، فمن ترك شيئًا له؛ عوَّضه الله خيرًا منه:

فهذا سليمان عليه الصلاة والسلام لما ترك الخيل، فقال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص:٣٣]، غضبًا لله عزَّ وجلَّ، وقطعًا لدابر هذه الخيول التي ألهته، فأعاضه الله تعالى بالريح، ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص:٣٦]، أي: حيث أراد، مع أن الريح عاصفة قوية، والعادة أن العاصفة القوية تقلق، ولا تكون رخاء، لكن هذه جعلها الله تعالى رخاء.

وقد ذكروا أنه يضع بساطًا على الأرض، فيجتمع هو وحاشيته على هذا البساط، ثم تطير بهم الريح حيث أرادوا، شمالًا أو جنوبًا أو شرقًا أو غربًا حيث أصاب.

وإبراهيم عليه الصلاة والسلام قد نال الخُلَّة لما امتثل أَمْرَ الله تعالى أن ينفذه في أحب البشر إليه، وقد نال هذه الخلة نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه، حيث قال: «إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»، وهل نالها أحد غيرهما؟ لا نعلم، ولو كان أحد نالها -والله أعلم- لبينه الله عزَّ وجلَّ؛ لئلا يُهْضَم صاحب الحق حقه، فالظاهر أن الخلة للخليلين فقط: إبراهيم ومحمد صلَّى الله عليهما وسلَّم.

وبه نعرف أن وصفنا لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بـ(خليل الله) أبلغ من وصفنا إياه بـ(حبيب الله)؛ لأن المحبة أدنى من الخلة، والرسول عليه الصلاة والسلام كان يحب أبا بكر رضي الله عنه، وهو أحب الرجال إليه، ولكنه قال: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا**»[1]، فالخلَّة أعلى من المحبة، ولهذا ثبتت المحبَّةُ من الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم لأبي بكر رضي الله عنه، وانْتَفَتِ الـخُلَّةُ.

ولهذا نحن نقول: إن الله تعالى يحب المؤمنين، ولا نقول: إن الله خليل المؤمنين.

ونسمع بعض الناس يقول: «محمد حبيب الله، وإبراهيم خليل الله»، وهذا غريب! أليس محمد خليل الله كإبراهيم عليهما الصلاة والسلام؟ لماذا لا نعطي الحق لأهله؟!.

وقوله: «**فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ -وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا**» وخطيئته: أنه صلى الله عليه وسلم كذب ثلاث كذبات، وهي ليست كذبًا؛ لأنها تورية، لكن من شدة تعظيمه لله عزَّ وجلَّ جعلها بمنزلة الكذبات، وهم: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وقال للملك الطاغية -عن سارة-: إنها أختي، وهي زوجته، فيعتذر.

فإذا قال قائل: أليست التورية جائزة أحيانًا؟

فيقال: بلى، ولا تقدح في عدالة الإنسان، لكن الإنسان الذي يكون في قمة

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب **قول النبي ﷺ: «لو كنت...»**، رقم (٣٦٥٦-٣٦٥٨)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، رقم (٢٣٨٣).

المراتب، يرى كل شيء خادشًا لهذه المرتبة، فخجل أن يشفع إلى الله عزَّ وجلَّ بعد هذه الكذبات الثلاث.

وهذا أمرٌ مشاهَد، فترى الرجل التقيَّ إذا فعل معصية تعظُم في نفسه؛ لأنه لم يعتدها، ويكرهها، لكن الرجل الممارس لهذه المعصية لا يهتم بها، وكأنها ليست بشيء، ولهذا كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام -لعلو مرتبته- رأى أن هذه الكذبات الثلاث مانعة لأَنْ يكون شفيعًا عند الله عزَّ وجلَّ.

وقوله: «**وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ**» وهذا التكليم -والله أعلم- تكليمُه إيَّاهُ بالرسالة؛ لأن موسى عليه الصلاة والسلام ليس من خصائصه أنَّ اللهَ تعالى كلَّمه؛ فإنَّ اللهَ كلَّم غيرَه -ممَّن هو أعلى منه، وممَّن هو أقلُّ منه-؛ فكلَّم اللهُ تعالى آدمَ عليه الصلاة والسلام، وكلَّم اللهُ تعالى محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولكن اختصاص موسى عليه الصلاة والسلام بالكلام -والله أعلم- أنه أُوحِي إليه بكلام الله مباشرةً، لكن الرُّسل الذين أرسلهم الله تعالى -سِوَى موسى- كلَّمَهم أوَّلَ ما كَلَّمهم بالوحي عن طريق جبريل عليه الصلاة والسلام.

وقوله: «**قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا**» وخطيئته: أنه قتل نفسًا قبل أن يؤذن له بقتلها، وهو القبطي الذي رآه مع الإسرائيلي، فاستغاثه الإسرائيلي عليه، فوكزه موسى مرة واحدة فقضى عليه؛ لأن موسى عليه الصلاة والسلام كان قويًّا.

وقوله: «**وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ الله وَكَلِمَتَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى رُوحَ الله وَكَلِمَتَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ؛ وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم عَبْدًا قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا**

تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ». قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: «فَيَأْتُونِي...»، فكل من سبق من الأنبياء والرسل يحيل إلى من بعده، ويعتذر بما يرى أنه عذر، ثم يأتون إلى عيسى، ولا يعتذر بشيء، ولكن يقول: «اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ»، والحكمة من ذلك -والله أعلم- لأمرين:

الأول: أن يظهر فضل الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، حيث إن كل واحد من هؤلاء الرسل الكرام عليهم صلوات الله وسلامه، يعتذر بما يرى أنه عذر يحول بينه وبين الشفاعة، أما عيسى عليه الصلاة والسلام فلا يعتذر، لكن يرى أن محمدًا صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أولى بالشفاعة منه، فيكون محمد صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أولى من هؤلاء؛ لأنه ليس له ما يعتذر به، وهذا يؤخذ من اعتذار الأربعة.

والأمر الثاني: لإظهار كماله وفضله عليهم، وهذا يؤخذ من أن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يقل شيئًا، فكان النبي صلَّى الله عليه وسلَّم لكماله، أحقهم بالشفاعة، وإلا لألهمهم الله عزَّ وجلَّ أن يأتوا إلى محمد صلَّى الله عليه وسلَّم من أول الأمر، ولا يحتاج أن يتردَّدُوا إلى هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام.

واعلم أن الشفاعة التي اعتذر منها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام -وهي الشفاعة العظمى- من خصائص نبينا صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، فلا يشفع فيها أحد.

وقوله: «فَيَأْتُونِي» هذا على خلاف الأكثر في اللغة العربية، وهو حذف النون من الأفعال الخمسة بدون ناصب، ولا جازم، وهو موجود في العربية، لكن الأكثر عدمه، ولو كان السياق على الأصل لقال: فيأتونني.

وقوله: «فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ؛ قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ؛ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْـجَنَّةَ».

وهنا يقع إشكال، وهو أن الشفاعة المذكورة هنا، صارت فيمن كان في النار، فيخرج منها، قال أهل العلم رحمهم الله: وإنما طوى الرواة ذكر الشفاعة؛ لأن الشيء الذي حصل فيه الخلاف والنزاع، الشفاعة فيمن استحق النار، أو فيمن دخل النار أن يخرج منها، أما الشفاعة العظمى فلا ينكرها أحد، لا الخوارج ولا المعتزلة، بل هم يقرُّون بها -وهي الشفاعة في أهل الموقف أن يقضي بينهم- وقد ورد هذا مفصلًا في أحاديث أخرى، لكنها ليست في الصحيحين.

والمقصود: أن الرواة طووا ذكر ذلك؛ لأنهم احتاجوا أن يبينوا ما وقع فيه النزاع بين الأمة، وهو الشفاعة في أهل الكبائر، وقد كان للمعتزلة والخوارج -في ذلك الوقت- صولة كبيرة، لذلك احتاجوا أن يركزوا على هذا.

وقوله: «ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ؛ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْـجَنَّةَ -قَالَ: فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ:- فَأَقُولُ يَا رَبِّ! مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ؛ أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْـخُلُودُ». قَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ قَتَادَةُ: أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْـخُلُودُ».

قوله: «فَأُخْرِجُهُمْ» يحتمل أن يكون هذا مباشرة، يعني: أنه يوكل إلى الرسول

عليه الصلاة والسلام أن يقف على أهل النار، ويخرج مَن وجبت له الشفاعة من النار، فيدخلهم الجنة.

ويحتمل أن المعنى: أكون سببًا في ذلك، وإضافة الشيء إلى سببه موجود في القرآن وفي كلام العرب، والله أعلم.

***

١٩٣- وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْـمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ؛ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: «يَجْتَمِعُ الْـمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ بِذَلِكَ -أَوْ: يُلْهَمُونَ ذَلِكَ-»؛ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: «ثُمَّ آتِيهِ الرَّابِعَةَ -أَوْ: أَعُودُ الرَّابِعَةَ- فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَا بَقِيَ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ».

١٩٣- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْـمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ نَبِيَّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قَالَ: «يَجْمَعُ اللهُ الْـمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ»، بِمِثْلِ حَدِيثِهِمَا، وَذَكَرَ فِي الرَّابِعَةِ: «فَأَقُولُ يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْـخُلُودُ».

١٩٣- وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِنْهَالٍ الضَّرِيرُ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، وَهِشَامٌ صَاحِبُ الدَّسْتُوَائِيِّ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم. (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْـمُثَنَّى؛ قَالَا: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ -وَهُوَ: ابْنُ هِشَامٍ- قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ

مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً». زَادَ ابْنُ مِنْهَالٍ فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ يَزِيدُ: فَلَقِيتُ شُعْبَةَ فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ؛ فَقَالَ شُعْبَةُ: حَدَّثَنَا بِهِ قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِالْحَدِيثِ؛ إِلَّا أَنَّ شُعْبَةَ جَعَلَ مَكَانَ الذَّرَّةِ ذُرَةً؛ قَالَ: يَزِيدُ صَحَّفَ فِيهَا أَبُو بِسْطَامٍ.

١٩٣- حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا مَعْبَدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَنَزِيُّ. (ح) وَحَدَّثَنَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ -وَاللَّفْظُ لَهُ-؛ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا مَعْبَدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَنَزِيُّ قَالَ: انْطَلَقْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَتَشَفَّعْنَا بِثَابِتٍ فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي الضُّحَى، فَاسْتَأْذَنَ لَنَا ثَابِتٌ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَأَجْلَسَ ثَابِتًا مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ؛ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ إِنَّ إِخْوَانَكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تُحَدِّثَهُمْ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ؛ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ؛ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللهِ؛ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ؛ فَيُؤْتَى مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ؛ فَيُؤْتَى عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم؛ فَأُوتَى فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا! فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي؛ فَيُؤْذَنُ لِي فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ؛ يُلْهِمُنِيهِ اللهُ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ؛ فَأَقُولُ: رَبِّ!

أُمَّتِي! أُمَّتِي! فَيُقَالُ: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا؛ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ؛ فَأَقُولُ: أُمَّتِي! أُمَّتِي! فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا؛ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ؛ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أُمَّتِي! أُمَّتِي! فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ». هَذَا حَدِيثُ أَنَسٍ الَّذِي أَنْبَأَنَا بِهِ فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ فَلَمَّا كُنَّا بِظَهْرِ الْـجَبَّانِ قُلْنَا: لَوْ مِلْنَا إِلَى الْحَسَنِ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ -وَهُوَ مُسْتَخْفٍ فِي دَارِ أَبِي خَلِيفَةَ-؛ قَالَ: فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ! جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَبِي حَمْزَةَ فَلَمْ نَسْمَعْ مِثْلَ حَدِيثٍ حَدَّثَنَاهُ فِي الشَّفَاعَةِ؛ قَالَ: هِيهِ! فَحَدَّثْنَاهُ الْحَدِيثَ؛ فَقَالَ: هِيهِ! قُلْنَا: مَا زَادَنَا؛ قَالَ: قَدْ حَدَّثَنَا بِهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ، وَلَقَدْ تَرَكَ شَيْئًا مَا أَدْرِي أَنَسِيَ الشَّيْخُ أَوْ كَرِهَ أَنْ يُحَدِّثَكُمْ فَتَتَّكِلُوا؛ قُلْنَا لَهُ: حَدِّثْنَا! فَضَحِكَ وَقَالَ: خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ، مَا ذَكَرْتُ لَكُمْ هَذَا إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ: «ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ؛ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ -أَوْ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ-؛ وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي لأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». قَالَ: فَأَشْهَدُ عَلَى الْحَسَنِ أَنَّهُ حَدَّثَنَا بِهِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أُرَاهُ قَالَ: قَبْلَ عِشْرِينَ

سَنَةً وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ»[١].

---

[١] كنت أتوقع أن الحسن رحمه الله يذكر شيئًا غير هذه الزيادة، وهو أنه لم يذكر في هذا الحديث نوحًا عليه الصلاة والسلام، فلعل بعض الرواة نسي، فلم ينقل ذلك، وإلا فالأحاديث متظاهرة في أن آدم يحيله إلى نوح، ولكن لعل بعض الرواة أسقطها نسيانًا، كما أنه لم يذكر في هذا الحديث ما يعتذر به هؤلاء، مع أنه ذكر في أحاديث أخرى.

وقد ذكرنا سابقًا: أن الأحاديث الطويلة يحصل فيها اختلافٌ كثير بين الرواة، ولكن بالإمكان أن يرجع إلى مَن هو أرجح في روايته من حيث الحفظ والإتقان، وهذا كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه: نسي ما حدَّث به الحسنَ منذ عشرين سنة.

وقوله: «وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ» يعني: جميع قواه كانت معه، من البصر، والسمع، والحفظ، وغير ذلك.

وقوله: «وَهُوَ مُسْتَخْفٍ فِي دَارِ أَبِي خَلِيفَةَ» قيل: إنه كان مستخفيًا لأن الحَجَّاج كان يطلبه، وقيل غير ذلك؛ لأن الحسن البصري رحمه الله كان معروفًا بالحديث في مسجد البصرة، وكان له مناظرات مع زعماء المعتزلة وغيرهم، فلعله اختفى، إما بتهديد من الحَجَّاج، وإما بغير ذلك، والله أعلم.

وفي هذا الحديث فوائد منها:

١- أن الإنسان يُعْذَر بترك الجماعة إذا خاف على نفسه، وكان لا يطمئن إذا خرج، وهذا له أصل في الشرع، فقد قال النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم:

«لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ»[1]؛ لأنه إذا صلى في هذه الحال شوَّش ولم يخشع في صلاته، فكذلك إذا كان الإنسان خائفًا، بأن يكون مطلوبًا من جهة الولاة، وما أشبه ذلك، ثم صلَّى في بيته، فإنه معذور؛ بل إن كعب بن مالك رضي الله عنه كان يصلي في بيته حين هجره الناس؛ لأنه لا يستطيع أن يصلي إلى جانب أناس هاجرين له، هذا يشقُّ عليه، ولذلك كان يصلي في بيته، حتى فرَّج الله عنه بالتوبة عليه.

٢- وفي هذا الحديث -بألفاظه المختلفة- بيان كمال أدب الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، وتعظيمه لربه جلَّ وعلا، وأنه لا يفعل شيئًا يتعلق بالرَّبِّ إلا بعد إِذْنِه؛ لأن الله تعالى قال -في أعظم آية في كتاب الله-: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

٣- وفيه: أن الله تعالى يفتح للإنسان من محامده ما لم يكن يعرفه من قبل، كما يفتح -أيضًا- في الدنيا من المعارف والعلوم ما لم يكن يخطر على بال إنسان، وما لم يفتحه على أحد من الناس، ونحن إذا تأملنا الأئمة الكبار رحمهم الله رأينا أن الله تعالى فتح عليهم من المعارف والعلوم ما لم يفتح على كثير من الناس؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم من أئمة الأمة رحمهم الله تعالى جميعًا.

* * *

(١) تقدم تخريجه (ص:٤٤٧).

١٩٤- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ نُمَيْرٍ -وَاتَّفَقَا فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ إِلَّا مَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا مِنَ الْحَرْفِ بَعْدَ الْحَرْفِ-؛ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم يَوْمًا بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ -وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ- فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً؛ فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[1]»،...

---

[١] في أول هذا الحديث:

١- أنه ينبغي أن يقدَّم للمقدَّم من القوم ما عُرِف عنه أنه يُحبُّه؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم رفعوا إلى النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم الذراع؛ لأنها كانت تعجبه ويحبها، ولقد قال الأطباء: إنها من أحسن اللحم طعمًا، ومذاقًا، ولِينًا، ومنفعة.

٢- وفيه -أيضًا-: أنه يجوز للإنسان قبل أن يُقدَّم الطعام -وقبل أن يُبْدَئ به- أن يحدِّث الناس، وكان النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم في تلك اللحظة بدَا له أن يحدِّث؛ لأن المقام مقامٌ عظيم، وإلا فقد يقول قائل: لماذا لم يؤخِّر الحديث حتى ينتهي الناس من الأكل؟.

فيحتمل أن الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم رُفع إليه الذراع قبل أن يحضر الطعام، أي: أنه كان كالتَّقْدِمة بين يدي الطعام، ويقوِّي هذا الاحتمال الرواية الآتية.

وتبقى هذه قضية عين لا نتحكم فيها، لكن من حيث الحكم، إذا وجد ما يُوجب أن نقدِّم الكلمة، فإننا نقدمها ولو في حضرة الطعام، وإلا فالأولى أن لا نقدِّم الكلمة والناس مشتغلون بمراقبة الطعام وانتظاره؛ لأن القلوب متشوِّفَة

ولاهِيَةٌ، ولاسيما إذا كان يَغْلب على الظن أنهم جياع، مثل: أن يكون العشاء متأخرًا، وما أشبه ذلك.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» هل يمنع أن يكون سيد الناس في الدنيا؟ لا يمنع؛ لأنه إذا ثمت له السيادة في هذا المجمع العظيم؛ ففي ما دونه من باب أولى، على أنه ورد أنه سيد ولد آدم، لكن هذا اللفظ قيد في بعض الألفاظ بيوم القيامة.

* * *

...وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟[١] يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ[٢]، وَتَدْنُو الشَّمْسُ؛ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ؛...

---

[١] قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟» يستفاد منه: أن الإنسان إذا أتى بحُكم من الأحكام، ورأى أن يبيِّن علَّته، فإنه ينبغي أن يبين العلَّة؛ لأنه لَمَّا قال: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فالنفوس تتطلع لمعرفة السبب، فأورد هو عليه الصلاة والسلام على نفسه هذا الإيراد، حتى يبين للناس السبب.

[٢] قوله صلى الله عليه وسلم: «فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي» يعني: أنه لو دعا داعٍ لأسمع كلَّ الخلق؛ لأنه ليس هناك شجرٌ، ولا جبال، ولا أودية، ولا انحناء في الأرض؛ لأنها تكون سطحًا واحدًا، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ» يعني: يُدْرِكُهم، أما الآن فالأرض مكوَّرة، لا ينفذ البصر كل مَن عليها؛ بل لمسافة معينة، ثم يختفي بعد هذا بسبب الانحناء.

...فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟! أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟! أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟! فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ؛ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْـمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ! أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ! أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا! فَيَقُولُ: آدَمُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَـمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ؛ نَفْسِي! نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي! اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ؛ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ! أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ! أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا! فَيَقُولُ لَـهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَـمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي[1] نَفْسِي! نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم؛ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ الله وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ! أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا! فَيَقُولُ لَـهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَـمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ -وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ- نَفْسِي! نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى؛ فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى! أَنْتَ رَسُولُ الله فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ،...

---

[١] وهذا الاعتذار غير ما تقدم سابقًا، من أنه سأل ما ليس له به علم، والدعوة التي دعا بها على قومه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦]، فدعا على قومه هذه الدعوة، فرأى عليه الصلاة والسلام أن هذا مانع مِن أن يتقدَّم ليشفع إلى الله عزَّ وجلَّ.

...أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ! أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا! فَيَقُولُ لَـهُمْ مُوسَى صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَـمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَـمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي! نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم؛ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى! أَنْتَ رَسُولُ الله وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْـمَهْدِ وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ! أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا! فَيَقُولُ لَـهُمْ عِيسَى صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَـمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ -وَلَـمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا-؛ نَفْسِي! نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي! اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم؛ فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ رَسُولُ الله وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ! أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا! فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَـمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ؛ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أُمَّتِي! أُمَّتِي! فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! أَدْخِلِ الْـجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْـجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْـجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى».

١٩٤- وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ

وَسَلَّم قَصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ وَلَحْمٍ، فَتَنَاوَلَ الذِّرَاعَ وَكَانَتْ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ فَنَهَسَ نَهْسَةً[1]؛ فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، ثُمَّ نَهَسَ أُخْرَى فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابَهُ لَا يَسْأَلُونَهُ قَالَ: «أَلَا تَقُولُونَ كَيْفَهْ؟»[2]. قَالُوا: كَيْفَهْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»؛ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ،...

---

[١] وهذا مما يقوي الاحتمال الذي ذكرنا، من أنه ربما قدمت له الذراع وحدها، ثم قدِّم له الطعام؛ إلا أنه في اللفظ السابق قال: رُفعت إليه الذراع، وهنا يقول: تناول الذراع، ولا منافاة بينهما، فقد تناولها بعد أن رفعت إليه، ولا إشكال في هذا.

وفي هذا أيضًا: أن العَجَب يطلَق ويُراد به المحبة؛ لقوله: وكان أحب شيء إليه، ومن ذلك قول عائشة رضي الله عنها: كان يُعْجِبُهُ التَّيَامُنُ فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ[1]، يعني: كان يحبُّ التَّيامُن في تنعله وترجُّله.

[٢] الهاء هنا للسكت.

فإذا قال قائل: لماذا لم يسأله الصحابة؟ الظاهر أنهم لم يسألوه تأدبًا، وخوفًا أن يشغلوه بالجواب عن الأكل، وهذا من الآداب، وهذا خلاف ما يفعله بعض الناس، حينما يقدَم إليهم أحد ممن هو فوقهم في العلم، فما أن يبدأ بالأكل حتى تبدأ الأسئلة، فإذا ما انتهى الأول سأل الثاني، حتى لا يكاد يأكل شيئًا.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب في التيمن في الوضوء والغسل، رقم (١٦٨)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب التيمن في الطهور وغيره، رقم (٢٦٨).

وهل نأخذ من هذا أن العالم أو المعلِّم إذا لم يَرَ أن من أمامه لم يسأل، فإنه يفتح السؤال بنفسه؟ والجواب: نعم، ففي بعض الأحيان يأتي إنسان فيجلس في المجلس، فيهاب الناس أن يتكلموا، وهو صامت، فيبقون صامتين ساكتين، فهنا من المستحب -بلا شك- أن يفتتح المجلس: إما بسؤال يُلقيه، أو يقول: هل عندكم من سؤال؟ أو ما أشبه ذلك.

* * *

...وَزَادَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ وَذَكَرَ قَوْلَهُ فِي الْكَوْكَبِ هَذَا رَبِّي، وَقَوْلَهُ لآلِهَتِهِمْ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا؛ وَقَوْلَهُ: إِنِّي سَقِيمٌ؛ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ إِلَى عِضَادَتَيِ الْبَابِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ -أَوْ: هَجَرٍ وَمَكَّةَ». قَالَ: لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَ[1].

---

[١] ذكر هنا الكذبات التي ذكرها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو قوله -في الكوكب-: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾، وناظر قومه وحاجَّهم، وكانوا يعبدون الكواكب، فلما جن عليه الليل، قال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ أي: هذا ربي على زعمهم واعتقادهم، وإلا فهو لا يعتقد هذا، لكن تنزُّلًا مع الخصم، أي: لِنَفْرض أن هذا هو الرَّبُّ.

* * *

١٩٥- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَرِيفِ بْنِ خَلِيفَةَ الْبَجَلِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ الأَشْجَعِيُّ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ وَأَبُو مَالِكٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنْ حُذَيْفَةَ؛ قَالَا: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: «يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ؛ فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ؟! لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الله -قَالَ:- فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ الله وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ». قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟! ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ؛ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا -قَالَ:- وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ؛ فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ». وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ! إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا[١].

---

[١] هذا الحديث فيه شفاعة أخرى غير الشفاعة السابقة، فإن الشفاعة السابقة في القضاء بين الخلائق، وهذه الشفاعة في فتح باب الجنة؛ لأن الناس ينتهون إلى ذلك فيجدون الباب غير مفتوح؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا